الاستغلالُ الديني والسياسي للتنوع الطائفي في العراق وأثرهُ على السلم المجتمعي

ID NO: 3063

(PP 29 - 46)

https://doi.org/10.21271/zjhs.24.1.3

عبدالجبار حميد صالح شاهين

جامعة الأنبار- كلية التربية القائم- قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

نافع حميد صالح شاهين

جامعة الأنبار- كلية التربية للعلوم الإنسانية

alanbaryb75@gmail.com

الاستلام:2019/07/30

القـبول : 2019/10/28

النـــشر: 2020/02/20

ملخص

الحمدُ لله فارج الهمِ، وكاشف الغمِ، وباسط النعمِ ، والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الرسول الأكرم، الذي أزال الأوثان وهدمالصنم، وعلى آله وصحبه أهل الفضل والكرم، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان من الشعوب والأمم.

فإنّ الاستغلال الديني والسياسي للتنوع الطائفي والعرقي من أسوأ ما انتجتهُ البشرية في زماننا لما له من تأثير سلبي في النفوس، إذ يعدُ عاملاً رئيساً في غرس الكراهية ، وتغذية نزعة التطرف، وغالباً ما يكون التنوع الطائفي مرتعاً خصباً لأصحاب النفوس الضعيفة من أجل استغلال وتوظيف الهويات الدينية والسياسية العرقية في الصراعات ، فالحراك الديني أو السياسي الذي ينطلق في سبيل مناصرة هوية دينية أو مذهبية، لا يلبث أنْ يُحول الهوية ذاتها إلى أداة تعصبية في الصراع مع هويات أخرى.

لا بد أنْ نثبت حقيقة لا تخفى على أحد ولا يمكن إنكارها وهي أنَّ مجتمعنا أصيب بتخلف مادي وسياسي نتيجة للتخلف الديني ، وقد استُغِلَ طائفياً عبر تراكم السنين والأحداث وبلغ منتهى درجات الخطورة في زماننا، إلى الحد الذي غابت فيه معالم السنن وضاعت المبادئ والقيم.

مما تجدر الاشارة إليه أنَّ الاستغلال الديني والسياسي أثر سلباً على السلم المجتمعي في العراق، ومن خلال البحث سنسلط الضوء على مدى الاستغلال الحاصل دينياً وسياسياً في العراق لمحاربته ، ومحاربة كل الخطابات التي تدعو إلى العنف والكراهية من أجل الحياة السعيدة والعيش الرغيد لنا ولأجيالنا اللاحقة.

الكلمات المفتاحية: الاستغلال السياسي، الاستغلال الديني، التنوع الطائفي، أثر التنوع الطائفي على السلم، آثار الاستغلال الدينية والسياسية للتنوع الطائفي على السلم.

المقدمة:

الحمدُ لله مستحق الحمد، الذي له الكبرياء والمجد، الحمدُ لله حمداً لك يا من نطقتْ بحمدك جميع الكائنات، فالسماءُ دائماً وأبداً تقول : سبحان من رفعني بقوته وأمسكني بقدرته فهو ركني وهو عمادي، والأرضُ دائماً وأبداً تقول: سبحان من بسطني بقوته ومهّد مِهادي ، والبحارُ دائماً وأبداً تقول: سبحان من أسآل عيون مائي لقُصّادي ووُرّادي، وأصلي وأسلم على شفيعي ومناي ومرادي، وعلى آله وصحبه والتابعين هم بغيتي ومرادي.

فإنّ الاستغلال الديني والسياسي للتنوع الطائفي والعرقي من أسوأ ما انتجتهُ البشرية في زماننا لما له من تأثير سلبي في النفوس، وغرس الكراهية وتغذية نزعة التطرف، إذ غالباً ما يكون التنوع الطائفي مرتعاً خصباً لأصحاب النفوس الضعيفة من أجل استغلال وتوظيف الهويات الدينية والسياسية العرقية في الصراعات ، فالحراك الديني أو السياسي الذي ينطلق في سبيل مناصرة هوية دينية أو مذهبية، لا يلبث أنْ يُحول الهوية نفسها إلى أداة في الصراع مع هويات أخرى.

أهمية البحث: في خضم التداعيات التي شهدتها مجتمعاتنا والفوضى العارمة التي اجتاحت بلادنا والنكبات التي حلّت بنا، تبرز أهمية هذه الدراسة أمام دعاة السلام من المفكرين والعلماء والمثقفين والباحثين وغيرهم لينفضوا غبار الزمن ويعيدوا النظر بتجارب الخطابات السياسية والدينية في ضوء ما أنجزته من مكتسبات من جهة، ومراجعة العوامل

والتحديات التي أجهضت آمالنا وقطعت أواصرنا الحية من جهة ثانية، واصطدام الخطاب الهادف بحركات الاستثمار السياسي للدين وإصرارها في ماضيها وحاضرها على تغذية الكيانات المذهبية والطائفية وتأجيج انقساماتها على نحو لا يسمح باستيلاد أي مشروع للتوحيد والتقريب يقوم على قيم التكامل وما يتصل به من روافع النهوض والإصلاح المرتجى على عين الله ورضاه.

مشكلة البحث: تنبع مشكلة البحث من فشل التجارب الحوارية وإخفاقها في التعايش السلمي بمعزل عن المناخين الديني والسياسي مع ما لابسهما في القرن الماضي والحاضر من آثار سلبية ومدى إمكانية وكيفية إحلالُ السلام في ظل الاستغلال الديني والسياسي في العراق .

الدراسات السابقة: من خلال دراستنا وتفحصنا العميق لم نجد من كتب عن هذا الموضوع بشكل مؤلف او بحث علمي اللهم باستثناء بعض المقالات المتناثرة في مواقع الانترنت والتي تحدثت بشكل قصص فردية عن الموضوع.

1.التمهيد:

قبل الخوض في جوهر البحث والوقوف على أهم ثناياه لا بد من المرور سريعاً على بعض المسائل العامة المتعلقة بموضوع البحث، وعلى النحو الآتي:

1.1 التعريف ببعض مصطلحات البحث:

1.1.1 تعريف الطائفة في اللغة والاصطلاح:

الطائفة في اللغة: مفرد جمعه طوائف ، وهي الجزء من الشيء. (ابن منظور ، 2003م، 6 /160 -161)

الطائفة في الاصطلاح: فئةٌ من الناس تتبع لديانة أو مذهب أو غيره وهي لا تعني بالضرورة إيمانًا دينياً.

إنَّ الطائفة بشروطها وأركانها ليست مذمومة بل المذموم ما بات يعرف حديثاً باسم الطائفية التي متى ما اطلقت صرف معناها إلى اللفظ المعروف المشتهر لا غير ، وقد عُرّفت الطائفيةُ بتعريفات عدة ومنها:

الطائفية: ظاهرة اجتماعية وتعني التعصب لجماعة بالانتماء إلى ديانة أو مذهب، وباعتبار أنَّ الانتماء لهذه الجماعة يكون محدداً للهوية ولموقف الآخرين بوصفهم منتمين إلى جماعات أخرى. (عزمي بشارة، 2018، ص8)

وعُرّفت أيضاً بأنها: تنشئة تقوم على الضغينة والنفاق تجاه الطرف الآخر، وهذا كله بدون سبب واضح بل نتيجة شحن بالمشاعر العاطفية وتلفيقات كل طرف ضد آخر .(سعيد السامرائي، 1993 ص 43)

لذلك فما يُوسم مذهبية في الوعي اليومي في المجتمع هو في الواقع طائفية دينية، ولا يهم هنا إذا كانت هذه الطائفية مذهبية أو دينية فهي في الحالتين انتماء عصبوي إلى جماعة تجمعها رابطة العقيدة وليس بالضرورة الإيمان بهذه العقيدة وممارستها، ففي الطائفية عموما يتغلب التعصب للجماعة على التعصب للدين، وفي المذهبية والتدين يغلب التعصب للمذهب أو للدين على التعصب للجماعة ولكن غالبا ما يتقاطع التعصبان . (عزمي بشارة، 2018، ص8)

1.1.2 السِّلْمُ في اللغةً والاصطلاح:

في اللغة: ضدَ الحربِ وَمِنْه اشتقاق السَّلامَة وهوُ مصدر سلمَ يسلمُ سِلْماً وسلاماً. (ابن دريد ، 858/2) (الهروي،2001م، 5/ 16.)

في الاصطلاح: هو " الوضع الطبيعي لحياة المجتمعات والأمم إذ يسود فيه الأمن والسلام ، ويشعر الأفراد والجماعات بالأمان والسكينة والاستقرار وهو عامل مهمٌ لتقدم الامم ورقيها. " العلياوي، 2018، 673/9)

1.1.3 المجتمع في اللغة والاصطلاح:

1.1.3.4 المجتمع في اللغةً : " مشتق من الفعل اجتمع ضد تفرقَ " (الفيروزآبادي، ص 193)

1.1.3.5 المجتمع في الاصطلاح : " كل مجموعة من الافراد تربطهم رابطة ما ، معروفة لديهم ولها اثر دائم او مؤقت في حياتهم وعلاقتهم مع بعض . " (وافي، ص16)

1.2 المفهوم الموسع للأمن والسلم الدولي :

في إطار توسع الأمم المتحدة في مفهوم الأمن والسلم الدولي الذي أنيط بها ، أدخلت الأمم المتحدة كافة القضايا المتعلقة بالإنسان في المفهوم الشامل للأمن والسلم المجتمعي والمستدام ، بمعنى أن الأمم المتحدة قد جعلت أي إخلال جسيم

يتهدد الجماعات البشرية بمثابة تهديد للأمن والسلم الدوليين، ومن هذا المفهوم الموسع للأمن والسلم يتبين بإنَّ الأمم المتحدة لم تقتصر على التهديد الذي يجري في العلاقات بين الدول حسب ، وإنما تعدى إلى أي تهديد يجري داخل الدول ذاتها وعلى ذلك نجد أنَّ الأمم المتحدة من خلال القرارات الصادرة من مجلس الأمن وفق الباب السابع من الميثاق قد اعتبرت بعض الأحداث التي وقعت داخل بعض الدول بمثابة تهديد للأمن والسلم الدولي. (الجندي ، ص99) (مصطفى،1989، ص79.)

إنَّ حقيقة هذه القوانين في الأغلب لم تطبق فعلياً بل وجدت على الورق فقط ، وعلى حسب أمزجتهم وأهوائهم كما سنرى في الوقائع التي ستأتي لاحقاً والتي صمت عنها المجتمع الدولي .

1.3 المواجهات القضائية لجرائم الإبادة الجماعية :

إنَّ المواجهات القضائية لجرائم الإبادة الجماعية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية تمثلت في إنشاء المحكمة الجنائية ليوغسلافيا السابقة 1991 بقرار من مجلس الأمن أعقبها إنشاء المحكمة الجنائية لرواندا عام 1994 ثم تبع ذلك إنشاء المحكمة الجنائية الدولية ، والتي دخل نظامها الأساسي حيز التنفيذ عام 2002 ، وهو ما يسمح بالقول بإرساء قضاء جنائي دولي يواجه ارتكاب الجرائم الدولية ، والتي تأتي على رأسها جريمة الإبادة الجماعية. (عبد الحميد، 1974، ص 71)

إن كانت الحياة الدولية قد شهدت مواجهة قضائية لبعض الوقائع التي تكون جريمة الإبادة الجماعية من خلال بعض المحاكم التي أنشأها مجلس الأمن -كما ذكرنا آنفاً- إلا أن هناك أحداثاً كثيرة جوبهت بالتجاهل والصمت من جانب المجتمع الدولي ، ومرت بغير عقاب نتيجة الضغوط السياسية التي تمليها هيمنة الدول الكبرى على مسار العلاقات الدولية، وتحكمها فيما يصدر عن الأمم المتحدة ، ولا سيما مجلس الأمن من قرارات عقابية على الرغم من عرض هذه الأحداث على أجهزتها ، والأمثلة على ذلك عديدة منها : ما يحدث في فلسطين ، فالشعب الفلسطيني من أكثر الشعوب التي كانت ضحية أعمال تدخل في إطار الإبادة الجماعية ، التي نصت عليها اتفاقية الأمم المتحدة لمنع الإبادة الجماعية والعقاب عليها من سنوات النكبة وحتى يومنا ، ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر مذبحة بلد الشيخ في 31 ديسمبر 1947، ومذبحة قرية سعسع في 14 فبراير 1947 ، ومذبحة دير ياسين في 10 أبريل 1948 ، ومذبحة اللد في 11 يوليو 1948 ، ومذبحة صبرا وشاتيلا من 16 – 18 ديسمبر 1982 ، ومذبحة المسجد الأقصى في 18 أكتوبر 1990 ، ومذبحة الحرم الإبراهيمي في 25 أبريل 1994 ، ومذبحة قانا في 18 أبريل 1996 ، هذا فضلاً عن الحملات العسكرية على غزة عام 2008 وعام 2016 والتي أسقطت آلاف من المدنيين الفلسطينيين بين قتيل وجريح مخضب بالدماء. (الجنابي، 2013، ص24)

2. نماذج الاستغلال الديني والسياسي للتنوع الطائفي. وجاء هذا المبحث بمقصدين مهمين:

2.1 نماذج من الاستغلال الديني للتنوع الطائفي.

توطئة:

مما تجدر الإشارة إليه هو أَنَّ نماذج الاستغلال الديني والسياسي متمثلاً بخطاب الكراهية والرسائل المحرضة على العنصرية بمختلف أنواعها والعنف بالوسائل العلمية لا يمكن حصرها كلها بهذا البحث ، ولكن سنأخذ خطوطاً عريضة ونماذج منتقاة وذلك لمحاولة تسليط الضوء على مدى الاستغلال الحاصل دينياً وسياسياً لمحاربته ومحاربة كل الخطابات التي تدعو إلى العنف والكراهية.

لا شك أنَّ الدين والسياسة قرينان لا ينفكان عن بعضهما، فلا يؤدي الدين وظيفته الحقيقية بعيداً عن السياسة ولا السياسة يكتب لها التمكين بمعزل عن الدين، فالدين هو الذي يهذب السياسة ويقودها لبر الأمان، ويوجهها الوجهة الصحيحة، ولكن ما نراه اليوم هو العكس إذ يظن البعض ولا سيما الساسة أنَّ الدين وُجِدَ لخدمة مصالحهم وأطماعهم الشخصية، فهؤلاء وجدوه " وصفةً جاهزةً مطورة لنقض أسس الإسلام العقدية والفكرية وزعزعة كيان الأمة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ، إذ اتخذوا من الدين مطية لتلبية مطالب الطامعين والحاقدين، إذ صارت نظرتهم لحمل الدين ليست دينية بحتة بل دنيوية دنيئة ، إذ رفعوا شعارهم الباطل تجاه الدين " من يحملني لأنقله إلى بغيته وأبلغه مراده"! ولا غرو فهو الورقة الرابحة لكل المتربصين به وبأهله." (الكاتب، 2012)

يعد الاستغلال الديني والسياسي لأطياف المجتمع جريمة، وهذه الجريمة قد لا تعني بالضرورة التدمير الفوري لأمة أو طائفة أو مذهب أو إثنية بعينها ، بل يكفي وجود خطة منظمة في الغالب تقوم بأفعال مختلفة تهدف الى القضاء على الأسس

والركائز الحيوية التي تقوم عليها المجتمعات ، وتؤدي في نهاية الأمر الى تدمير تلك الأمة أو المذهب أو الطائفة عينها بكل تفاصيلها سواء كان على مستوى الثقافة واللغة والدين والمذهب والطائفة ، أم على مستوى الوجود الاقتصادي أو المؤسساتي وما يصاحبه من الاعتداء على الاشخاص والبنى . (بهنام، 1984، ص 180) (عبد الحميد،1974، ص84)

إنَّ استغلال أفراد المجتمع بقصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو دينية والضغط عليهم للعيش في ظروف صعبة تؤثر عليهم مادياً ومعنوياً أو تؤثر على مواردهم الاقتصادية التي يقتاتون منها هو من ضروب الإفساد في الأرض الذي حرّمه ديننا الحنيف .

إنَّ التنوع الإنساني على حسب الطوائف والأديان من سنن الله تعالى الدارجة في هذا الكون الوسيع، وهذا في حقيقته ليس فيه مذمة لأحد بل ما نتج عنه من استغلال ديني لشتى الطوائف من غير استثناء ، فهو أمر غير محمود وعواقبه كانت وخيمة على السلم المجتمعي، فالجميع - إلا من رحم ربي- استغل الدين واتخذه مطية من أجل تحقيق مصالحه الشخصية أو المذهبية سواء كان الاستغلال من داخل الطائفة أو خارجها، والنماذج على ذلك كثيرة ومن أهمها:

2.1.1 أولاً: استغلال منابر الخطاب الديني في التحريض على العنف:

إنَّ إثارة النعرات الطائفية من خلال الخطاب الديني التحريضي ضد مكون معين بهدف إثارة الفتن وغرس الكراهية ونشر الأفكار المتطرفة يؤدي إلى زعزعة الأمن والاستقرار في كل مجتمع متنوع الطوائف ، ومن هذا الباب الخطير دخل بعض المنتسبين للإسلام إذ أثاروا الفتن وزرعوا البغضاء والكراهية بين أبناء الشعب العراقي بكل أطيافه وصنوفه، لذلك سجلت ظاهرة تصاعد الخطابات التحريضية صعوداً على مدى الأعوام السابقة والتي كانت تدعو بدورها إلى الكراهية والبغضاء وزرع الطائفية في العراق، وتشوّش على جهود مكافحة التشدّد ومساعي تجفيف منابع الإرهاب المنضوية تحت عباءة الدين، وهذا بدوره أدى إلى إبادة جماعية بحق أبنائه.

في بعض القوانين الجنائية ومنها العراقي والفرنسي والألماني يُراعى بأنَّ هذه الأفعال يعاقب عليها مستقلة حتى ولو لم تقع أحد الأفعال المكونة لجريمة الإبادة ، على أن ذلك يقتضي أن يتجاوز النشاط المعاقب عليه مجرد التفكير في ارتكاب أحد الأفعال المكونة لجريمة الإبادة كارتكابه لأعمال تمهيدية لذلك كأنْ يصل الأمر بالمتآمر الى إتيان سلوك خطير يكون إحدى حلقات ارتكاب الجريمة كالشحن الطائفي مثلاً إذ يعد عاملاً مهماً في ارتكاب كثير من الجرائم في البلد، فالعالم يشهد أنَّ بعض أدعياء الدين والسياسة تجاوزوا مرحلة القول من خلال التحريض والشحن الطائفي وانتقلوا إلى مرحلة التطبيق الفعلي من خلال القتل واستباحة الدماء بمسميات واهية ، ولسنا هنا بإصدار أحكام قانونية بل أردنا أن نعرج إلى مسألة تجريم الخطاب الطائفي ، ويبقى القول الفصل في تقدير هذا كله للمحكمة التي تتولي النظر في الدعاوى المتعلقة بهذه الجريمة. (العبيدي، 2002 ، ص93)

إنَّ استغلال الدين من بعض أدعيائه بانت مصائبه وأتى أُكله في المجتمع العراقي ولا سيما بعد الاحتلال الأمريكي الذي دخل بحجة أسلحة الدمار الشامل المكذوبة وإذا به يقوم بخطوة كانت سبباً في انتكاسة العراق ألا وهي حل الجيش العراقي آنذاك، لذلك رأى العالم أجمع أنَّ بعد عام 2003م كيف طفت على السطح بعض الحركات الهدامة المدعومة دولياً وإقليمياً ، والتي لم تدخر جهداً في زعزعة الأوضاع في البلد مستغلة التنوع الديني والمذهبي للشعب العراقي لإحداث الصراعات والنزاعات الطائفية التي أثّرت سلباً على نسيج المجتمع العراقي واللحمة الوطنية التي كانت موجودة إلى حد كبير قبل عام 2003م.

لقد نتج عن ذلك اقتتالٌ طائفيٌ وتصفية جسدية بين أبناء الطوائف والمذاهب في بعض المحافظات العراقية وعلى رأسها العاصمة بغداد، إذ عانى الشباب في تلك الفتنة ولا سيما في السنوات (2005- 2006- 2007) من الخوف على الحاضر المبكي والمستقبل المجهول، والبطالة التي انتجت فراغاً كبيراً لديهم في الوقت والوعي الثقافي، مما انعكس سلباً على السلم المجتمعي ، الأمر الذي سهّل عملية تمرير المخططات التي تهدف الى زرع الفتنة الطائفية وحصد نتاجها بالاقتتال المسلح. (علي عبد، 2007)

ما إنْ تجاوز البلد الحقبة السوداء التي مرت عليه أيام القاعدة والتنظيمات المسلحة بعد عام (2008) جرّاء استغلال الدين والمذهب والطائفة حتى نجد أنَّنا عدنا من حيث بدأنا، إذ تكرر المشهد في بعض محافظات العراق ومنها الأنبار وصلاح الدين

والموصل وديالى في عام(2014م) بعد دخول داعش الإرهابي الذي لبس ثوب الدين زوراً وبهتاناً فهو كما اتضح للناس جميعاً بأنه مدعوم محلياً وإقليمياً ودولياً ولا علاقة له بالدين لا من قريب ولا من بعيد إذ مهمته الأساس هي إحداث القتل والتدمير ولا سيما في المحافظات أعلاه، وكذلك إحداث الفرقة بين طوائف المجتمع، إذ أصبحت النظرة العامة أنَّ المحافظات السنية كلها داعش وهذا ما لمسناه وعايشناه من خلال الخطابات الدينية والسياسية المتطرفة من بعض الطوائف التي اتهمت أهل هذه المحافظات بالإرهاب ، لذلك بدأت تحث أتباعها ومناصريها على تدمير وقتل أهل هذه المحافظات وأخذهم بجريرة غيرهم بحجة الإرهاب وداعش وغيرها من المسميات، مع أنَّ هذه المحافظات قاتلت داعش قتالاً شرساً مريراً ، فيا ترى هل من الانصاف أخذ الإنسان بجريرة غيره مع أنَّ الله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل: [وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا] (سورة الإسراء من الآية: 15) وهل من الانصاف أيضاً محاسبة طائفة كاملة بسبب أفعال فردية لا تمثل رأي الطائفة ولا معتقداتها، وبالتالي إضاعة جهودها ، وجهود ابنائها وتضحيات شهدائها الذين رووا بدمائهم الزكية أرض الوطن، فالرمادي كمدينة بقت ما يزيد عن ثمانية عشر شهراً تقاتل بإمكانياتها الفردية البسيطة وقدمت العديد من الشهداء الذين لقنوا داعش دروساً قاسية، وبقيت على هذا الحال المتردي الذي لم يجد الدعم الكافي من الحكومات حتى اُحتلت من قبل العصابات الإجرامية ، أما مدن (حديثة والعامرية والخالدية) بَقيت تقاتل حتى الرمق الأخير ولم تدنس أرضها عصابات داعش الإجرامي، وبقيت عذراء من دخول داعش لذلك سُميت بمدن (الصمود) لأنها صمدت وقدمت التضحيات في معاركها مع داعش رغم الإمكانيات الذاتية اليت تمتلكها عشائر هذه المدن، وقد كانت هذه المدن الثلاث منطلقاً لتحرير باقي مدن الأنبار من فلول داعش الإجرامي، لذلك فداعش وأخواتها صورة من صور الاستغلال السياسي والديني، ولا يظنن ظانٌّ أن داعش وأخواتها أمر عفوي بل هو مشروع ممنهج للقتل والتدمير تشرف عليه دولٌ عالمية وإقليمية بمباركة محلية، لذلك نرى ما إنْ انطوت صفحة داعش حتى عادت إلينا صفحة الجماعات المسلحة التي تخطف وتقتل على الهوية متخذين السياسة والدين وفتاوى بعض العلماء ذريعة لتحقيق مصالحهم باسم الدين والمذهب " فالكل يدعي وصلاً بليلى " ، لذلك نلحظ أنَّ تهمة الإرهاب أصبحت صفة ملازمة للمحافظات التي دخلها داعش، مع أنَّ تلك المحافظات ولا سيما الأنبار قاتلت قتالاً مريراً وقدمت التضحيات بدماء أبنائها، ولكن ما ندري لماذاَ كل شريف وشجاع يحمل همَّ الوطن ويدافع عنه بكل ما أُوتي من قوة يكون مصيره مأساوياً بالقتل والتهجير تارة ، والتغييب في غياهب السجون تارة أخرى، والإذلال المعنوي والنفسي تارة ثالثة؟!.

2.1.2 ثانياً: التحريض الديني الطائفي في المؤسستين التربوية والتعليمية: يعيش مجتمعنا اليوم نوعاً من التيه والتخبط والضياع الفكري ولا سيما الشباب الذين هم بناة المستقبل ونهضة المجتمعات ، فقد طرأت علينا فتنة من نوع جديد كفيلة بأن تزرع الطائفية بين أطياف المجتمع، وتقضي على السلم المجتمعي، فما نراه في الوسط التربوي والتعليمي الأكاديمي من مكائد وحيل يتم من خلالها تغيير ديموغرافي – إن صح التعبير- للمناهج التعليمية شيئاً فشيئاً، واستبدالها بمناهج أخرى منتقاة ليس على أساس المادة العلمية بل على أساس الدين والمذهب مصحوباً بالأمزجة والأهواء التي تخدم شريحة معينة وتضرب الصفح عن شرائح كبيرة في المجتمع.

اعترف وزير التربية السابق محمد اقبال مصرحاً: " بأنَّ المناهج الدراسية في العراق طائفية جداً وتحث على التمييز العنصري والمذهبي ، وهذا المنهج يوضع من قبل لجان مشتركة بين التربية والوقفين ، لذلك لا يمكن تغيير المناهج الدراسية في البلاد الا بعد مرور خمس سنوات عليها ، وكل ذلك هو من مسببات الأحزاب الدينية التي سيطرت على اللجان في الوزارات ومنها التربية ، ما تسبب بإشكالات كبيرة في وضع المناهج التي كانت على حسب الأهواء ولم توضع على أساس المعيارية العلمية. " (إقبال، 2018)

هذا ما أقرته لجنة التربية في مجلس النواب بأنَّ المناهج الدراسية في العراق " تفتقر للمعايير العلمية" فهناك مواد لا يتحملها عقل الطالب الصغير، وهذا ما أكده عضو اللجنة "رعد المكصوصي" بتصريح صحفي قائلاً: أن المناهج الحالية هي تدميرية وليست تعليمية، مبيناً أن اللجنة جمعت تواقيع لاتخاذ الإجراءات القانونية، بهدف تغيير وتعديل المناهج الدراسية في البلاد، ولكافة المراحل. (إقبال، 2018)

من خلال ما سبق يبين لنا مدى الاستغلال الديني للمناهج التربوية والتعليمية، وهذه الصعوبة هي عامل مهم من عوامل نفور الطلبة من المدارس وترك مقاعد الدراسة، وهذا بدوره انعكس سلباً على الأمن المجتمعي .

2.1.3 ثالثاً: الاستغلال الديني لوسائل الإعلام للتحريض الطائفي:

لا شك في أهمية الإعلام في زمن الحوسبة والتكنولوجيا الرقمية إذ يعد الإعلام عاملاً مهماً في التربية ، فالناس أصبحوا يتأثرون بالمرئيات من خلال القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي، وهذا يؤكد لنا سهولة طغيان الانفعالات السلبية وضياع القيم والأخلاقيات.

بالرغم من أنَّ الواجب المهني للإعلام هو أنْ يعرض آراء الناس جميعاً دون التميز بدون طائفة وأخرى ويجعل المواطن على دراية ومعرفة بآراء وتفكير الآخرين، وبالرغم من الاختلاف في الرأي، إلّا أنه يجب الحرص الشديد في طريقة العرض كي لا وسيلة من الوسائل المستخدمة في الحض على الكراهية مما قد يصل أحيانا إلى بعض جرائم القتل. (سارة عيسى وآخرون، د. ط ، ص 24)

إنَّ كل ما نراه هو العكس فقد أراد بعض أدعياء الدين أنْ يحققوا ما يطمحون إليه من خلال الإعلام السلبي ، إذ انتشرت ظاهرة زيادة أعداد القنوات الفضائية الدينية التي تحث على العنف والكراهية تجاه الطوائف والأديان الأخرى، وهنا لا بد من بيان حقيقة تخفى على البعض وهي أنَّ " الإعلام الديني يختلف عن الإعلام الطائفي بشكل كبير، إذ يعتمد الأول منهجاً متوازناً يريد تعريف مُتابعيه بالدين الذي يدعو إليه بالطريقة التي لا تستفزّ أتباع الأديان والمذاهب الأخرى، بينما يسقط الثاني في خطاب تهييجي غرائزي هدفه الهجوم على عقائد الأديان والمذاهب الأخرى بأساليب غير علمية وغير عقلانية ومصحوبة غالباً بسيل من الأوهام والأساطير التي يتم تداولها حول الآخر" . (شعيب، 2017)

فهذا الذي حصل في العراق ولا سيما بعد أحداث عام 2003م، فقد أتاحت الشبكة العنكبوتية والبثّ التلفزيوني الفضائي والمنابر الإعلامية المختلفة مساحات واسعة من الحرية المفرطة ، فلا يخفى على المُتابع الحذق ملاحظة حدّة الاستقطابات المذهبية في منابر متعدّدة الخلفيات والاتجاهات والتي تختفي تحت ستار ادّعاءات امتلاك الحقيقة والنجاة الأبدية، فالناظر لتلك المعتقدات والأفكار للوهلة الأولى يظنها بريئة، غير أنَّ الحقيقة تنكشف عندما تُطرَح أفكار أو عقائد مختلفة، أو عندما يتبيّن أن الكثير مما يُطرَح إنما يعكس أجندات سياسية أو ثقافية لا تهمّها القضية المعرفية بقدر ما يهمّها تسييس الناس لخدمة أهدافها ومصالحها.

هناك دراسة أُجريت على القنوات العراقية ودورها في محاربة الطائفية معتمدة على التحليل الوصفي لهذه القنوات وقد أظهرت النتائج الآتي: (عبدالمجيد، 2015م، المقدمة: ي – ك)

• إنَّ دور وسائل الإعلام العراقي في مواجهة الطائفية كان ضعيفاً ومنهكاً والسبب معروف وهو أن معظم وسائل الإعلام والقنوات الفضائية تحديدا محسوبة على اتجاهات سياسية وطائفية مما يجعلها في موقف متحيز ويسبب ضعف معايير الأداء المهني في المؤسسات الإعلامية العراقية.

•تنشر وسائل الإعلام العراقية مواضيع تثير الفتنة الطائفية، في حين انها تولي اهتماماً منخفضاً في معالجة القضايا المرتبطة بالطائفية.

•إن وسائل الإعلام العراقية تستخدم خطاباً إعلامياً مؤججاً ومبرمجاً لصالح الانتماء الطائفي والعرقي وافتقارها الى لغة الخطاب الوطني الجامع الموحد.

• يختلف استخدام وسائل الإعلام العراقية للغة الطائفية تبعاً لانتماءاتها السياسية، وان هناك تحيزاً من قبل السياسيين في درجة حساسيتهم للخطاب السياسي الطائفي وطريقة الترويج لأفكارهم ومعتقداتهم وايدولوجيتهم الفكرية.

إنَّ هذا التصاعد الملحوظ للقنوات الفضائية الداعية للعنف كانت على طرفي نقيض في القضية التحريضية للسنة والشيعة، أعطى ثماره في غرس منابع الشر والتطرف في المكونين وقد راح ضحيته الكثير من أبناء الطائفتين.

لذلك " إنَّ السيطرة على الفضاء لا يلغي حرية الرأي والتعبير للإعلام، إلا أنَّ بعض القنوات لم تدرك أن لكل حرية ضوابط، وأن الحرية ينبغي أن تقف دائما عند حدود حرية الآخرين، وإلاّ تحولت الحرية إلى فوضى، والدليل ما هو موجود الآن من خروقات أو ما يمكن وصفه بالانفلات الفضائي، وفي ظل هذا العدد الهائل من المحطات التلفزيونية الفضائية واختلاط الغث بالسمين، ما يتطلب تنفيذ القوانين بكل صرامة." (موقع العرب، 2015).

2.2. نماذج من الاستغلال السياسي للتنوع الطائفي

توطئة:

إنَّ الحقيقة الظاهرة للعيان والتي لا يمكن إنكارها هي أنَّ مجتمعنا أصيب بتخلف مادي وسياسي نتيجة للتخلف الديني ، وقد استغل طائفياً عبر تراكم السنين والأحداث وبلغ منتهى درجات الخطورة في زماننا، إلى الحد الذي غابت فيه معالم السنن، وتشوشت العقائد، واضطربت المفاهيم، وبعدت الأمة عن التصور الإسلامي للحياة ، فبعدنا عن الواقع السياسي الإسلامي للحياة، أخذ بدوره يبعدنا عن جوهر التصور الإسلامي الحقيقي، وهكذا ظلت هذه الأمة تدور في هذه الحلقة المفرغة التي استغلها بعض أدعياء السياسة والدين الذين استطاعوا تفعيل العوامل الداخلية الكامنة في تركيب المجتمع التاريخي من ناحية، وتفعيل عوامل خارجية هاجمت مجتمعاتنا بكل وسيلة وتستغل الوضع الراهن لتنشئ عوامل التمييع والتمزيق في كيانها من ناحية أخرى، ولكي تصبح غريبة غربة كاملة عن الإسلام، لذلك لا بد من البوح صراحة بحقيقة أن الموجود اليوم في واقع الأمة ليس هو الإسلام الذي صنع خير أمة أخرجت للناس حتى بلغت مشارق الأرض ومغاربها. (قطب، ص 22-23).

لذلك فالطائفية لا تبني على المبدأ السائد" الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية" وانما تبنى على التعصب للرأي وعدم تقبل الآخر ، فهي ترفض التعايش مع الآخر وتهدف إلى أقصائه أو تهميشه ولا تقبل المشاركة العادلة وانما تمارس الاستحواذ على كل شيء ، فهي قضية سياسية اجتماعية بالدرجة الأولى ويتعين النظر اليها من هذا المنطلق وهي بهذا المفهوم وليدة ظروف مجتمعية جاءت نتيجة لرد فعل من مظلوم تجاه الظالم والمظلوم عادة هو الشخص أو الجماعة التي تعاني من التمييز في إقامة الشعائر او التي لا تتمكن من الحصول على حقوقها الاجتماعية والسياسية وتتعرض قسراً للتهميش السياسي او الإقصاء الثقافي أو كليهما ، والظالم هنا المجتمع ممثلاً في القطاع أو الحزب المهيمن أو العشيرة القوية ، ومن ثم لا يكون أمام المظلوم سوى الارتماء والاحتماء بجماعته الفرعية ، لمقاومة الظلم ورفع الحيف الواقع عليه. (توشار وآخرون ، ص45)

بناءً على ما تقدم يتبين بأنَّ النماذج على الاستغلال السياسي للتنوعات الطائفية والمذهبية في المجتمع العراقي كثيرة، ومن أهمها ما يأتي:

2.2.1. تصاعد حدة الخطابات الطائفية أيام الانتخابات: إنَّ للساسة أسلوب في جذب أصوات الناخبين، فنراهم يستخدمون التظلم باسم الطائفة والدين والمذهب والقومية والحزب من أجل كسب الاصوات، فالحملات الانتخابية التي تقوم بها الأحزاب والجهات السياسية، تُنذر بمخاطر كبيرة على التعايش السلمي في البلاد، إذ تحولت المنابر إلى منابع للتحريض والطائفية في المجتمع، وعدم تقبل الآخر، فأغلب الأحزاب السياسية لا تجد مبتغاها إلّا من خلال التحريض الطائفي، فنراها تبثُّ خطابات الكراهية كلّ يوم، وتنشر سموم الحقد داخل المجتمع، وهذا الأمر الذي يستدعي موقفاً حكومياً وبرلمانياً حازماً يضع حدّاً لتلك الخطابات التي أهلكت الحرث والنسل، فبعض الساسة ، فضلاً عن بعض الفصائل المسلحة، هم من أكثر الجهات التي تضرب على وتر الطائفية، والتي تركز في خطاباتها اليومية، على نشر الكراهية بين أبناء الشعب الواحد، مع أنَّ تلك الخطابات يرفضها الكثيرون من أبناء العراق من شماله إلى جنوبه، لكنها في الوقت ذاته تُقنع من لا يمتلكون الثقافة والوعي الديني والسياسي.(موقع INP، 2018)

لقد بات واضحاً لدى الجميع أنَّ معظم الوعود التي يطلقها ساسة العراق سنة وشيعة من خلال حملاتهم الانتخابية هي في معظمها وهمية وكاذبة، فنراهم يرفعون شعارات رنانة لاستقطاب الناس واستمالة عواطفهم، وفي الغالب تكون المناطق الفقيرة مستهدفة بالدرجة الأولى من هذه الحملات، إذ نرى الاستغلال السياسي لحالة الفاقة التي يعانون منها أبناء المناطق والأحياء الفقيرة من أجل التسويق لأنفسهم بمختلف العبارات والشعارات سواء كان باسم الدين أو المذهب أو الحزب أو غيرها.

لذلك " تسعى كثير من أحزاب السلطة لاستدرار عطف عوام الناس، عن طريق استخدام خطاب طائفي تخويفي من الآخر، وتهديدات برجوع البعثيين، والصداميين ، والتكفيريين، الذين سيمنعون الزيارة وسينبشون قبر الحسين! ، وبسبب حجم تأثير الخطاب المذهبي الذي تستخدمه الأحزاب الحاكمة، عن طريق وسائل إعلامهم وسياساتهم المختلفة، فقد أصبح لهذا الخطاب جمهور يقتنع به، ولا يهمه مدى صدقه من كذبه؛ لأن المهم هو "حماية المذهب"، وفق ما يرون. " (وكالة يقين ، 2007م) وبالمقابل نجد سياسيي التيار المعاكس يتذرعون بطرد الاجندات الإيرانية التي بالفعل أصبحت شبحاً يطارد العراقيين ولا سيما أهل السنة.

لذلك إنَّ الخطابات السياسية وحتى الدينية أيام الحملات الانتخابية هي مجرد وعود تلعب على وتر المشاعر لدى الناس، واستغلال احتياجات ابناء الطائفة والمذهب، بالرغم من أنَّ قانون الانتخابات حظر كثيراً من المسائل التي تدعو للعنف وتحث على الطائفية إلا أن الساسة لم يلتزموا بما جاء في هذا القانون مطلقاً، ومن يلقي نظرة على بعض مواد هذا القانون والمخالفات التي حصلت من قبل بعض الاحزاب، يجد العجب العجاب.

لقد جاء في قانون الانتخابات ما يأتي: (مجلة الوقائع العراقية، 2013م، ص 9- 10)

تضمنت المادة)25) في نظام الحملات " يمنع استغلال ابنية الوزارات ومؤسسات الدولة واماكن العبادة والرموز الدينية لأي دعاية أو أنشطة انتخابية للكيانات السياسية والمرشحين"

فيما تضمنت المادة(26) " يحظر استعمال شعار الدولة الرسمي في الاجتماعات والاعلانات والنشرات الانتخابية وفي الكتابات والرسوم التي تستخدم في الحملة الانتخابية"

المادة (27) نصت على أنه: " لا يجوز لموظفي دوائر الدولة والسلطات المحلية استغلال نفوذهم الوظيفي او موارد الدولة او وسائلها او اجهزتها لصالح انفسهم او اي مرشح، بما في ذلك اجهزتها الأمنية والعسكرية، بالدعاية الانتخابية او التأثير على الناخبين"

المتعارف عليه انه وفق المادة (28) " يحظر ممارسة اي شكل من اشكال الضغط او الاكراه او منح مكاسب مادية او معنوية او الوعد بها بقصد التأثير على نتائج الانتخابات"

"أما المادة (29) فنصت على : "يحظر الانفاق على الدعاية الانتخابية من المال العام او من موازنة الوزارات او اموال الأوقاف الدينية او من اموال الدعم الخارجي".

هذه أهم المواد الواردة في قانون انتخابات مجلس النواب، ولكن الناظر للحال الذي عليه الساسة يجد أنهم لم يلتزموا بما جاء في هذا القانون، فقد رصد العراقيون بمختلف صنوفهم كثيراً من المخالفات التي تعارض ما جاء في القانون أعلاه.

فمن تلك المخالفات التي رصدت المواقع الإخبارية ومنها شبكة الغد برس ما يأتي:

رصد المراقبون في بعض الكيانات بأنهم استغلوا بنايات مؤسسات الدولة في الحملات الانتخابية، ورصدوا أيضاً بقيام بعض المرشحين الموظفين باستغلال نفوذهم الرسمي للترويج الى قائمة ورقمها الانتخابي، كما وأكدت الشبكة بأنه "تم رصد اثناء زيارة مراقبيها الى مراكز القوائم الانتخابية بجمع عدد من المخالفات، إذ تم ممارسة الضغط و الاكراه على الموظفين وإشاعة تمكن قوائم معينة من معرفة تصويت للموظفين، أي عدم توفر سرية الاقتراع بهدف التخويف من المحاسبة اللاحقة للقوى السياسية المتنفذة، وكذلك التهديد بحرمان الموظفين من الوظيفة العامة، فضلاً عن استلام بطاقات الناخب من الناخبين كوسيلة ضغط من قبل اعضاء الكيانات و القوائم المتنافسة، كما ورصد المراقبون لبعض الكتل والكيانات السياسية الاسلامية قيامهم باستغلال المنابر الدينية للحملات الانتخابية، وقد رصد المراقبون عدداً من الاعتداءات والتعرض الى دعايات انتخابات شملت اغلب القوائم الانتخابية جزء منها ممنهج والجزء الآخر عفوي في كل المحافظات العراقية ، إذ تم رصد حالات ممارسة العنف تجاه الناخبين والمرشحين والاعلاميين، و ما حصل في البصرة لمرشحي قائمة سائرون لمحاولة اغتيال ، وضرب مرشحي الحزب الديمقراطي الكوردستاني من قبل حماية احد مرشحي قائمة الفتح في خانقين. (شبكة الغد برس، 2018)

بدورنا قد رصدنا بعض المخالفات في محافظة الأنبار ومنها هي شراء ذمم الناخبين بمبلغ مادي زهيد ، أو بكارت تعبئة الجوال أمام مرأى ومسمع الناس، وهذا يدلنا على أنَّ عدم اتخاذ السلطات المعنية " التشريعية والتنفيذية وحتى القضائية" أية اجراءات تجاه المعتدين لدليل على مدى الاستغلال السياسي الطائفي للأحزاب السياسية ، وعلى أننا مجتمع يتمتع بالعشوائية، ويفضل ساسة الغاب، وهذا بدوره أثر سلباً على عملية السلم المجتمعي في العراق.

2.2.2. الصمت على الجرائم المدانة قانوناً:

أثبتت حقبة حكم الأحزاب المسيطرة على السلطة في العراق منذ العام 2003 ولحد الساعة، أنّ إذكاء الطائفية في البلاد، هو سلاح مهم تعتمد عليه بعض الأحزاب لضمان بقائها في السلطة، الأمر الذي يدفعها إلى تأجيج الطائفية باستمرار، ويستغرب جميع العراقيين من صمت السلطة القضائية حيال هذه الجهات وخطابها التحريضي الطائفي، علماً أنّ القانون العراقي يقضي بمحاسبتهم ، كما أكد الخبير القانوني بلال العميدي قائلاً : إنّ " القانون العراقي واضح في التعامل مع هكذا نوع من

الخطابات، التي تدخل ضمن التحريض على العنف والإرهاب، وأنّ القانون يحاسب كل من يحرّض على العنف قولاً وفعلاً، لذا تعد تلك الجهات مدانة قانونياً، وهناك تسجيلات موثقة تدينها. " (سيف الدين، 2018)

مع أنَّ القانون يعاقب على التحريض الطائفي ولكن نجد أنَّ القضاء يتغاضى عن تلك الجرائم بسبب أو بدونه، فصار القانون حبراً على ورق يفرض سيطرته على الضعيف دون القوي، ومن بين المآثر التي لا تزال عالقة في الذاكرة والتي كان من المفترض العقاب عليها قانوناً لكنها مرت كأنَّ شيئاً لم يكن هي : نظرية (7×7) وهي نظرية مشهورة صادرة عن لسان النائب في البرلمان العراقي حنان الفتلاوي، إذ طالبت امام مرأى ومسمع العالم وبدون خوف أو حياء بالتوازن في عدد القتلى قائلة: " أريد عندما يُقتلون سبعة من الشيعة يُقتلون أمامهم سبعة من السنة" (الملاح، 2017). موعزة ذلك بتحقيق التوازن المنشود بنظرها، فيا ترى أيّ استخفاف واستهانة بدماء الناس تحمله هذه النماذج التي كانت سبباً في إفراز داعش وجلب الويلات والمصائب للعراق.

لذلك على مدى السنوات المنصرمة لم يغب الاستغلال السياسي عن المشهد الانتخابي ، وحسب ما جاء ببعض التقارير لصحيفة العربي الجديد بأنَّ عناصر مسلحة تابعة لبعض الفصائل المسلحة في محافظة ديالى قاموا بمنع مرشحين وأحزاب من إقامة حملاتهم الدعائية أو الترويج لأنفسهم في مناطق معينة دون غيرها، في ظلّ احتكار هؤلاء المسلحين لحملات الترويج ونشر الصور والملصقات الخاصة بمرشحي قائمة معينة ومشخصة دون غيرها ، وسط صمت مطبق من قبل لجان المراقبة بمفوضية الانتخابات العراقية، وهذا دليل على مدى التغلغل السياسي والنفوذ الذي يتمتع به بعض الأحزاب حتى جعلت الجميع يتغاضى النظر عن هذه الجرائم كي لا يكون عرضة للقتل والاختطاف. (INB، 2018).

2.2.3 . استغلال المال العام: وهذه الفقرة لا تحتاج إلى تعليق فالأمثلة أكثر من أن تحصى وتعد.

3.آثار الاستغلال الديني والسياسي للتنوع الطائفي وآلية المعالجة وفيه مقصدان:

3.1. أثرُ الاستغلال الديني والسياسي:

بعد احتلال العراق في 2003م وتفكك النظام السياسي انتشرت موجة جديدة من التطرف الطائفي والعرقي ، إذ جرت عمليات قتل واغتيال وتصفيات جسدية لأشخاص من السنة والشيعة والعرب والأكراد ، إذ كان الخطاب الطائفي المنظم حاضراً، وهذا يثبت وجود منظمات ودول وأجهزة مخابرات عالمية وإقليمية لعبت دوراً مهماً في التخطيط الاستراتيجي والتلاعب بالنسيج الاجتماعي العراقي دينياً وسياسياً ، إذ عمت الفوضى أرجاء البلاد فحدث السلب والنهب والقتل ، وانعدم الأمن بشكل ملحوظ وظاهر للعيان، فصار البلد أشبه بشريعة الغاب التي يأكل فيها القوي الضعيف، والسبب في ذلك هو الاحتلال وما أفرزه من الأحزاب الدينية والسياسية التي استغلت أبناء العراق أبشع استغلال لتحقيق مصالح الدول العالمية والإقليمية التي لعبت دوراً في تجنيد تلك الأحزاب وجعلها مطية للوصول لمبتغاها الأساس وهو هدم الدين ونهب ثروات المسلمين وخيراتهم.

من ذلك نستنتج بأنَّ أي استغلال للدين إيديولوجياً و سياسياً من قبل الطبقة الحاكمة في أي بلد من أجل اكتساب شرعية التسلط على رقاب البشر ، لابد أن يفرز لنا من يلجأ بدوره لتوظيف الدين في مقاومة الحكام فتظهر بذلك فرق دينية لا حدود لها، لكل منهم تأويله الخاص ، وأيديولوجيته الدينية الخاصة، وبالتالي سيكون لهم موقف سياسي وديني مناهض للسلم؛ لأن أغلب الطبقات السياسية والدينية تستغل الدين و تؤوله على حسب أهوائها ومصالحها، بل وتجعله دستوراً ودياً رسمياً للدولة، وهذا يعني أن استغلال الدين من قبل الحكام واتخاذه دستوراً لا تعني منطقيا إلا السماح بتأسيس أحزاب و جمعيات و نقابات على أساس ديني بل ومذهبي، و هو ما نستنتج منه أن هذه الاحزاب لا يمكن التعامل معها إلا على أنها تحمل في طياتها النفس الطائفي والمذهبي، لذلك من الطبيعي جداً أن تكون مجتمعاتنا بهذا المستوى المتدني ، لأنها لم تسعَ جاهدة بكل ما لديها من إمكانيات مادية و معنوية للمحافظة على النسيج الاجتماعي وديمومته ، بل نجدها متمسكة بمظاهر التخلف في شتى المجالات الاقتصادية والدينية والاجتماعية والثقافية والمدنية والسياسية، ومن يدقق النظر في البرامج الدراسية يقف على الفقرات المعتمدة في تلك البرامج و التي لا يمكن أن تخرج إلا أجيالا متخلفة، ويتبين له مدى حجم التخلف القائم في مجتمعنا، و لذلك لا نستغرب أنْ تسود العقلية الطائفية، و الفكر الطائفي، و الممارسة الطائفية في الواقع العربي، و ما العراق إلا نموذج مصغر لمدى التراجع الذي حظيت به مجتمعاتنا. (الحنفي، 2005).

لقدر أفرز خطاب الكراهية الذي اتخذته الاحزاب الدينية والسياسية في العراق آثاراً سلبية على المجتمع دينياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ، ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

3.1.1. الآثار الدينية السلبية على السلم المجتمعي:

3.1.1.1 السقوط في هاوية التكفير: لقد بلغ أثر الاستغلال الديني على السلم المجتمعي غايته ، إذ أسقطوا الناس في هاوية التكفير وهذا بدوره أدى إلى إسقاط عصمة الآخرين واستباحة دمائهم.

3.1.1.2 مصادرة حرية الاخرين: وهذا ما تقوم به الجماعات الدينية المتطرفة ، إذ ألزمت الناس بأشياء لم ينزل الله بها من سلطان ، ونفروا الناس من الدين ، وجعلوا عبادة الله التي هي أسمى ميزة في المؤمنين وأسهل ما يمكن التقرب به الى الله تعالى عسرة شديدة. (القرضاوي، 1982 ، ص 42، 52)

3.1.1.3 غياب الوسطية: انه إذا انتشر الغلو والابتداع في المجتمع غابت الوسطية والاعتدال والسنن بقدر ما انتشر من تلك البدع يشهد ذلك واقع الناس، فالمجتمع الذي انتشرت فيه البدع والضلالات غابت فيه السنن حتى صار المستن غريباً. (اللويحق ، د. ط، ص 724)

3.1.2. الآثار السياسية السلبية على السلم المجتمعي:

3.1.2.1. إذكاء الحرب الطائفية: إنَّ الملاحظ للأحداث الجارية في العراق بعد عام 2003م وإلى يومنا هذا يجد كثيراً من المسائل التي أودت بالعراقيين نحو الهاوية وهذه المسائل لم تظهر حقيقتها لدى الكثيرين إلا بعد أن حلَّ الدمار والهلاك بالشعب العراقي وما زالت المسلسلات جارية.

ما يخيّم على المشهد السياسي العراقي طيلة السنوات المنصرمة وحتى الساعة هو صورة مؤلمة لممارسات تحمل في ثناياها الكراهية وزرع الفتنة لصالح الانتماء الطائفي والعرقي، وأجندات مبرمجة لتحقيق غايات وأهداف معينة مدروسة، هدفها التأثير على الرأي العام وتحقيق غايات ومصالح شخصية، منها داخل الوطن، أخرى قادمة من الخارج ،تنهش في اللحمة الوطنية وتذكي فتيل التفرقة والطائفية بغية الوصول إلى مطامع وثروات البلد. .(عبدالمجيد، 2015م، ص1)

لقد لعب السياسيون سنة وشيعة على وتر الطائفية البغيضة التي أهلكت الحرث والنسل، إذ قام البعض بتأجيج الخطابات الطائفية الدينية فالتفجيرات التي وقعت ما بين 2004 - 2009 م تظهر حقيقة أنَّ التفجيرات أصابت السنة والشيعة على حد سواء ولم تكن تميز بين سني أو شيعي ولا لون ولا قومية فقد ضربت التفجيرات مساجد للسنة وحسينيات للشيعة كما ضربت كل تجمع سكاني في العراق بشكل واضح على خلاف ما هو معلن، وما ذلك إلا لإذكاء الطائفية، إذ أصبح العراق ساحة لتصفية الحسابات الاقليمية والدولية باسم الطائفية والمذهبية، وما إن انطوت هذا الصفحة الدينية حتى تفتح الصفحة السياسية بشكل ملحوظ ومتزايد فمع الانسحاب الامريكي من العراق عام 2011 م رسمت سياسة الاقتتال الطائفي شكلاً جديداً من الصراع على السلطة والمطالبة بالمحاصصة السياسية، إذ نجد انتقال الصراع المذهبي من الدين إلى السياسية عن طريق استئثار طرف بالسلطة على حساب الاطراف الأخرى ، وقد ولدت هذه الصورة السلبية لدى الناس روح الانتقام لشعورهم بالظلم والإقصاء والتهميش وكانت من نتائج ذلك ظهور داعش الذي هو مشروع تخطط له الدول الكبرى من سنوات حتى وصلت إليه بسبب الاستغلال السياسي والديني للطائفة والمذهب من خلال تلك الخطابات التي تحرض على العنف وغرس الكراهية والحقد بين أطياف المجتمع من أجل عدم تقبل الآخر.

3.1.2.2. الانقسام والتشرذم الحزبي: إنَّ خطابات الكراهية أحدثت في البلد الانقسام والتشتت؛ وذلك لأنَّ الجماعات المتخاصمة والمتناحرة لا تحمل الود والعطف والحنان والتماسك مع الطوائف الأخرى، فهي الساعية لتمزيق النسيج الاجتماعي وهدم أركانه البنيوية ، إذ لا يمكن لهذه النماذج أن تعيش إلا في ظل سيادة الفوضى التي تعد مكسباً كبيراً لنهب ثروات البلد، ولا شك أنَّ هذا الأمر أدى إلى تقسيم المجتمع لفئات كل منها يرى أنَّ الحق معه وهو على الصواب وغيره على خطأ .

لقد شهد العراق ظهور الانقسامات الحزبية ذات ولاءات طائفية تشيع ثقافة الولاء للطائفة على الصعيدين الديني والسياسي، وقد استخدموا وسائل الإعلام لتحقيق مصالحهم وتنفيذ أجندات خارجية، لذلك ظهرت قنوات حزبية تشيع الفرقة والانقسام كما وظهرت قنوات أخرى إعلامية مستقلة وحزبية لا هوية لها. والأخطر هو تسابق الأحزاب والطوائف والمذاهب على إنشاء

إذاعات وفضائيات، معظمها يبشر بثقافة الطائفة ويلغي الآخر، تحت مبررات عديدة، مرة بتهميشها من قبل المذهب الآخر، ومرة بتكفيرها من الطائفة الأخرى وغيرها من الأسباب والمسببات. .(عبدالمجيد، 2015م، ص3)

3.1.2.3 فقدان السلطة لهيبتها: حيث تعد السلطة هي اليد العليا في الحكم الدولي وعند فقدان السلطة او السلطات التشريعية لممارسة دورها في بناء الحكم سوف تعم الفوضى والفساد بكل انواعهِ، وهذا هو الذي حصل في ظل التجاذبات السياسية والدينية.

3.1.2.4 تسلم الرويبضة لمقاليد الحكم: من الآثار السلبية للاستغلال السياسي هو وضع الرجل غير المناسب في أماكن حساسة ومرموقة، وهذا من علامات الساعة وآخر الزمان كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم " إن أمام الدجال سنين خداعة يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب ويخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن ويتكلم فيها الرويبضة قيل : وما الرويبضة؟ قال: "الفاسق يتكلم في أمر العامة " وهذا حديث حسن أخرجه (الشيباني ؛ احمد بن حنبل ابن حنبل، 1421هـ، 25/21 والهيثمي، 1412 هـ ، 7 / 556 ، برقم "12226")

3.1.2.5. غياب الأمن والاستقرار.

3.1.3 الآثار الاجتماعية السلبية على السلم المجتمعي:

3.1.3.1 إشاعة روح الانتقام من أجل الدفاع عن الطائفة: إن إشاعة روح الانتقام بين أطياف المجتمع داء عضال ينمي في الإنسان روح الإرهاب والإهلاك للناس وللمجتمع، وقد أخبر الله تعالى عن المفسدين قوله تعالى﴿مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ إِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ الآيتان [204-205]

3.1.3.2 ضعف تعلق الشباب بالوطن: لقد ولد الاستغلال السياسي والديني لدى الشباب ضعف عقيدة المواطنة وعدم التعلق بالوطن ، فليس هناك ما يزيد من تعلق الشباب بأوطانهم وأمتهم وما يفكرون فيه فقط هو الحياة المادية البحتة والتي تؤدي الى قطع أي تعلق بالوطن وبالتالي انعدم الولاء لدى الجيل الناشئ . (الدقور، ، 1430هـ ، ص4)

3.1.3.3 الشعور بالإحباط النفسي: يعد الشعور بالإحباط واليأس من أهم أسباب الإرهاب، فلا شك أن انتشار التطرف الفكري والإرهاب العملي في المجتمع العراقي لم يأتِ من الفراغ بل جاء نتيجة تراكمات مرَّ بها المجتمع على مدى السنين المنصرمة، لذلك فشعور الشباب بالإحباط النفسي ، والخوف من المستقبل المجهول أثر سلباً على التعايش السلمي، وقد اهتم علماء النفس والاجتماع في تفسير اسباب الإرهاب فوجدوا من أهم أسبابه هو الاحباط والشعور باليأس، ففي ضوء نظريات متعددة قدم " دولد و ميلر" تفسيراً للسلوك العدواني من خلال نظريتهما التي قامت على فرض الاحباط العدواني وتفترض هذه النظرية " أنَّ السلوك العدواني هو دائما نتيجته الاحباط وان الاحباط دائما يؤدي الى شكل من اشكال العدوان أي إنَّ العدوان نتيجته طبيعية وحتمية للإحباط وفي أي وقت يحدث عمل عدواني يفترض ان يكون الاحباط هو الذي حرض عليه كما تؤكد هذه النظرية على ان العدوان دافع غريزي داخلي لكن لا يتحرك بواسطة الغريزة كما بينت نظرية الغرائز ، بل نتيجة تأثير عوامل خارجية ." (اللويحق ، د.ط، ص 341).

3.1.3.4. تفتيت المنظومة الفكرية الاجتماعية: عندما يستولي الاستغلال الديني والسياسي لأطياف المجتمع يشق التطرف الفكري في المجتمع ويتحول من حالة فردية الى حالة مجتمعية ، إذ يتمحور حوله تيار مجتمعي او فرقة او تنظيم او ما شاكل، و يلعب دوراً سلبياً في خلط الاوراق والتشويش على الحقائق، والتضليل وضرب نسق القيم والمعايير وهذا ما يسبب اشكالية قد تتحول الى فتنة في المجتمع. (المؤيد ، ص8).

3.1.3.5 تقهقر عجلة التقدم: وذلك بسبب الاستغلال الديني والسياسي لأطياف المجتمع انتشر التخلف والفقر ، وزاد عدد الأيتام والمطلقات والأرامل وهذا بدوره أثر سلباً على النسيج الاجتماعي والسلم المجتمعي الذي ننشده.

3.1.3.6. عجز المجتمع عن تحقيق أبسط الاهداف التي يسعى للوصول إليها.

3.1.3.7. تراجع مؤشرات التربية والتعليم.

3.1.3.8. ضياع القيم الإنسانية ومنها الحرية الاجتماعية والعدالة والديموقراطية وحكم القانون .

3.1.4. الآثار الاقتصادية السلبية على السلم المجتمعي:

3.1.4.1 التدهور الاقتصادي : إنَّ الدول لا ترغب في التعامل مع الدول التي ترتفع فيها مستويات الجريمة على أشدها ؛ خوفاً على مصالحها ، وفي النهاية سوف تقل الموارد الاقتصادية لهذا البلد الذي يكتنفه الإرهاب وتكثر البطالة ويعم الفقر في البلد مما يدفع بعض الناس لاكتساب لقمة عيشها حتى ولو عن طريق القتل. (العلياوي، 2011م، ص 126). وقد جاء في البروتوكول العاشر من بروتوكولات خبثاء صهيون ما يؤيد ذلك فقد قالوا" سننهك كل إنسان بالمنازعات والعداوات والحزازات والمجاعة وانتشار الأوبئة والعوز والفاقة حتى يجد الاغيار أنْ لا مناص لهم من مناشدتنا العون المادي " (فياض 2002م، ص 130)

3.1.4.2 استنزاف ثروات البلد: ومن آثار الاستغلال السياسي والديني على اقتصاد البلد هي استنزاف ثرواته وصرف واردات الدولة وطاقاتها لحل مشكلة الإرهاب وتعزيز الأمن ، فكم من الأموال صرفت في العراق من أجل تحقيق الأمن الذي لم يتحقق في ظل الاجندات الدخيلة على نسيجنا الاجتماعي ، إذ صار شغل الساسة الشاغل هو محاربة الإرهاب مع إهمال بقية الجوانب المهمة في المجتمع، وهذا بدوره انعكس سلباً على السلم المجتمعي، فالموازنة في الصادرات والواردات يجب أن تكون من أولويات المتسيدين للمشهد. (العلياوي، 2011م، ص 128)

3.1.4.3 انتشار المصارف الربوية: إنَّ المصارف الربوية في وقتنا الحاضر تسير وفق منهجية واضحة ، إذ نراها دائماً تتبع سبيل فتح باب الإقراض على مصراعيه في وقت الرخاء ، أما في وقت الركود الاقتصادي فتميل إلى التضييق في الإقراض وقد يصل الأمر إلى إيقاف الإقراض. وهذا الأمر له غايات منها : أنه يؤدي إلى وجود خلخلة و اضطراب في النظام الاقتصادي ، وظهور الأزمات ،فضلا عن التضخم الاقتصادي . (العلياوي، 2011م، ص 133)

لذلك تعد " المصارف الربوية من أقوى العوامل في تكدس الثروات في أيد قليلة ليسوا ملاكها ، بل هي ودائع مصارفهم تمكنهم من السيادة الاقتصادية ، ثم الكفاح بذلك وبالمكر السيئ إلى الأخذ بمقاليد السلطة السياسية وتوجيهها إلى ما يراد من استيلاء وقهر واستعمار وتحكم في العباد ودعاية إلى الشر والفساد والتمكين للقلق والاضطراب في الدول..." (بن باز ، ج5 ص225 – 226)

فهذه السياسة المتبعة في العالم والتي فشلت فشلاً ذريعاً ، أهملت تماماً عامل الفائدة ودورها في نشوء ظاهرة البطالة والتضخم. (السالوس، 1998م، 1 / 126- 127)

3.1.4.4 انتشار البطالة بشتى أنواعها: إنَّ البطالة التي سببها الاستغلال السياسي للمجتمع العراقي هي التي جعلت كثير من الناس يزجون بأطفالهم في الشوارع من أجل لقمة العيش ، وكانت النتيجة الحتمية أنْ حل القتل والدمار والتشريد وفقد السلم المجتمعي .

إنَّ ((المنافسة هي محور القوة الرأسمالية إذ يرى كل طرف فيها نفسه ، وهذه المنافسة تأخذ طابعاً عنيفاً يحول الحياة إلى سباق مسعور لا مكان فيه للضعيف ؛لذا فكثيراً ما تفلس شركات ويفتقر أغنياء في غير شفقة أو رحمة إذا تعثروا في سباق المنافسة مع غيرهم)). (الحسن،2009م ، ص 198) وهذه المنافسة العنيفة في النظام الرأسمالي ليس هدفها التصدي للبطالة بل هدفها الوحيد هو الربح ، فهي لا توفر عملاً للناس إلا بمقدار لا يؤثر على أرباحها ، وغالباً ما تلجأ إلى صرف العاملين إذا كان ذلك هو الوسيلة الوحيدة للحفاظ على الربح وزيادته. (الحسن، 2009م، ص 199).

3.1.4.5 التعويض المادي لغير المتضررين من جراء العمليات الإرهابية وتهميش المتضررين: في ظل انتشار الاحزاب والاستغلال السياسي الذي خيم على جميع مفاصل الدولة للبلد نجد انتشار التزوير والمحسوبية والمنسوبية والرشاوى، وهذا بدوره أثر بشكل كبير على السلم المجتمعي ، وسيبقى هذا التهميش عامل خطر يهدد المجتمع، فلا يمكن للشعب أن يطول سكوته على ما يجري من التهميش والظلم والحيف الذي لحق بأصحاب الدور المتضررة جراء العمليات العسكرية مادياً، إذ القانون كفل حق المواطنين بالتعويض المادي الذي يدفع بدوره إلى عجلة التقدم وتشغيل الأيدي العاملة، ولكن الذي حصل أنَّ المستحقين من عامة الشعب الذين ليس لديهم وساطة لا يمكنهم الحصول على التعويض ما دامت الأحزاب والمحسوبية والرشاوى تخيم على المشهد .

3.2. آلية المعالجة :

في خضم التداعيات التي أصابت بلداننا والتي أثرت سلباً على السلم المجتمعي لا بد من وضع معالجات حقيقية وخطط استراتيجية للنهوض بواقع المجتمع من أجل العيش الرغيد.

في ضوء ما سبق نثبت بعض الآليات لنحاول معالجة الاستغلال الديني والسياسي الذي أهلك الحرث والنسل في العراق من أجل إحلال السلام والتعايش السلمي. لذلك فمن أهم الآليات التي نراها بنظرنا عاملاً مهما في الحد من ظاهرة الاستغلال الديني والسياسي ما يأتي:

- تربية الجيل القادم على الإيمان الحقيقي بالوطن: لا شك أنَّ المواطنة وحب الوطن هو نقيض الطائفية، فعندما يسود النظام الطائفي يغيب الوطن والعكس صحيح.
- الدعوة الجادة لاحترام إرادة الشعوب والمحافظة على كرامة الإنسان بغض النظر عن دينه ومذهبه وطائِفته: هذا عامل مهم من عوامل التماسك والعيش باطمئنان ومتى ما انتهكت فستثور الأفراد والمجتمعات من أجلها، وتزهق الأرواح دونها ، فأولى خطوات العلاج تكمن في احترام إرادة الشعوب وحقها في تقرير النظام السياسي الذي تريده، ومنع التدخلات الخارجي، وإتاحة البيئة الإيجابية الحرة للتيارات الإسلامية المعتدلة، والكف عن محاولات تهميشها، فمبدأ الأحرار الأُباة " لا عيش بدون كرامة "، لذلك يجب " العمل على تعزيز الكرامة الإنسانية ومن ثم عقاب كل من ينتهكها انتهاكاً جسيماً من خلال اللجوء الى العدالة الجنائية" . (الخليفي، ،2003، ص44)
- الدعوة إلى مراجعة الإرث الفكري وما شابهُ من عوالق النزعات الطائفية المتطرفة، والعودة إلى روح الإسلام النقي الذي قد كفل للإنسان الحق في الأمان إذ " حرص على ترقية الحياة الإنسانية ولا يكون ذلك إلا بالأمن بكل صوره سواء كان في أمن الفرد في نفسه وذلك ما يتحقق بالاعتقاد الصحيح أو مع الجماعة ويكون بالسلوك المرتكز على العقيدة " (الغامدي، 2000، ص 87).
- إجراء دراسة تحدد أعداد طلبة الثانوية العامة والجامعات الذين ألجأهم التهميش والاضطهاد بسبب الاستغلال الديني والسياسي للالتحاق بالمنظمات الإرهابية، من أجل إعادتهم إلى بر الأمان وإعدادهم الأعداد الجيد القائم على مبدأ الوسطية كي لا يُستغلوا دينياً وسياسياً في المستقبل. (العقارية وآخرون، ٢٠١٥ ، ص 6)
- التحرر من سطوة الأجندات الخارجية : من المفترض أن ينتفض العراقيون جميعاً دفاعاً عن حقهم المختطف من قبل الحكومات وذوي الأطماع في بسط النفوذ وتوسيع السيطرة السياسية، إلا أن هذا الافتراض لم يقع لأن أسبابه لم تقم من الأصل، ففي زماننا توجه أصابع الاتهام لإيران التي عرفت باستغلالها لمذهب معين لتوسيع نفوذها السياسي والاقتصادي والثقافي مستغلة الوجود الشيعي، لذلك لم يبرز حتى الساعة مشروع سني أو شيعي يمثل الوجه الحقيقي للعراق المختطف، بل الجميع يدور في الفلك الإيراني، ويتناغم مع سياسات مرشد الثورة خامنئي.! (الكاتب، 2011م)
- لذلك فمتى ما تخلص الشعب من التدخل السافر للأجندات الخارجية فحينها سيعم الأمن ويحل السلام ربوع بلادنا وإلا فلا.
- تشريع قوانين حقيقية وصارمة لتجريم إثارة التفرقة بين المذاهب الدينية أو الخطاب التحريضي ضد مكونات الشعب العراقي بهدف إثارة الفتنة والكراهية .
- تفعيل دور القضاء الحقيقي واستقلاليته من التحزبات والتجاذبات الدينية والسياسية.
- نبذ التحريض الطائفي في المؤسسة التربوية في المدارس و الجامعات التي تساهم في بناء الجيل الجديد.

مطالبة البرلمان بتشريع قانون يطالب وزارة الاتصالات باتخاذ إجراءات سريعة لإزالة المواد غير القانونية، والأخبار الكاذبة، والتي تحرض على الكراهية في القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي بشتى أنواعها وإلزامها بالعقوبة فضلاً عن الغرامة الضخمة.

هذا ما عملت به ألمانيا ، إذ تواجه المواقع التي لا تزيل المنشورات "الواضح عدم قانونيتها" دفع غرامات تبلغ 50 مليون يورو. ولكن القانون يمنح شبكات التواصل الاجتماعي فترة 24 ساعة لاتخاذ ما يلزم عقب إبلاغها بشأن المواد المخالفة له. ويركز القانون أساسا على فيسبوك، وتويتر، ويوتيوب، لكن من المحتمل أن يطبق أيضا على ريديت، وتامبلر، وموقع "في كي" الروسي للتواصل الاجتماعي. وقد يشمل القانون أيضا مواقع مثل فيمو، وفليكر.(موقع BBC، 2018)

- ترك التقديس للأشخاص : إنَّ تعظيم أي فرد من أفراد الأمة سياسياً كان أو دينياً وحصر الحقيقة فيما يقول أو يكتب والتعصب لها من أسباب تخلف الأمة وتقهقرها وهو أحد الطرق المؤدية إلى السقوط، لأن أصالة النقص البشري أرسخ من احتكار المعرفة المطلقة التي تنتج عن تقديس الأشخاص مهما كانت مستوياتهم العلمية والفكرية، وإذا بالغ المجتمع في تعظيم الأفراد وحصر فهم الحقيقة بهؤلاء فقط وكأنَّ معارفها توقفت عند انجازات أولئك الأفذاذ فإنها بذلك تعلن أنها تجهل

أصالة النقص البشري الملازم حتى للعظماء المبدعين كما تجهل أن لكل جيل نصيبه من العظمة والإبداع وأن المعرفة الإنسانية عملية تراكمية تنمو باستمرار. (البليهي، د.ط، ص 23)

- حظر الاحزاب السياسية الطائفية: وهذه الخطوة ضرورية جداً لأن ما ثبت لنا أنَّ بعض الأحزاب السياسية هي التي تنتج خطاب الكراهية وتسوقه، وما تجربة الحكم منذ عام 2003 إلا دليل على ذلك فشل الأحزاب السياسية والدينية بالحفاظ على النسيج الاجتماعي والسلم المجتمعي والدولي، لذلك يتوجب اليوم تجريم التحريض الطائفي والطائفية السياسية إن كنا نسعى للسلم الحقيقي!. (د. صالح، 2017م)
- إعادة النظر في الخطاب الديني الذي يعد مصدراً أساسياً ورئيساً في خلق التعصب والطائفية والعمل على عقلنة الفكر الديني والمذهبي من خلال طرح جديد يتبنى مصالح الوطن ويعلى من قيمة المواطنة ونظام حكم يتمسك بمبدأ مدنية الدولة على أسس قومية تستوعب كل المكونات الدينية والعرقية والفكرية .
- تعديل المناهج التعليمية ورفدها بالثروة العلمية المبنية على وسطية الإسلام ، وإغنائها بالمبادئ السامية الإسلامية التي تدعو إلى التآخي والتآلف والتبصير بأخطار التطرف ، وتعميق ثقافة الاختلاف الذي هو طبيعة فطرية في الإنسان ولهذا قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ سورة النحل الآية: (٩٣)
- يكمن علاج المجتمع في الديموقراطية الحقيقية والشفافية والعدالة الاجتماعية والتحرير من تبعية الفكر العشائري التعصبي الطائفي الذي قد يحرقنا جميعا إذا لم نعالجه على المدى القريب.
- إعادة النظر في السياسات الاقتصادية الحالية والتي يغلب عليها سمة الاحتكارات الحزبية والدينية والعشائرية والتي ساهمت في تعميق الهوة في الدخول وتزايد معدلات البطالة وارتفاع معدلات التضخم مما جعل البعض لا يجد وسيلة سوى الالتجاء والانطواء تحت طائفة أو فئة تحميه وتحقق مطالبة أو يذهب بعيداً نحو التنظيمات الإرهابية بدون وعي وبتعصب ، وهنا مكمن الخطر ، إذ نكون قد شجعناهم بسبب الحكم التسلطي المستبد وفتحنا أمامهم الباب على مصراعيه للارتماء بأحضان الجماعات الإرهابية. (النشمي، 2010 م).
- دعم الفرق الشبابية والتجمعات الطلابية التي تعمل على نبذ الطائفية وبث روح التآخي في المجتمع.
- تضييق الخناق على الفساد بكل صوره وأشكاله: لا شك إنَّ إحدى عوامل المصالحة مع أبناء المجتمع الذين يثيرهم حجم الفساد الذي تتمتع به الأحزاب السياسية والدينية ، هو الضرب بشدة على الفساد والمفسدين، إما إهمال هذا الجانب يتيح الفرصة للمجتمع لمناهضة الدولة ، وهذا بدوره سينعكس سلباً على السلم المجتمعي.
- الحد من عمليات التزوير في الانتخابات البرلمانية والمحلية وانتقاء النزهاء من أجل الرقي بواقع البلد الذي أنهكته الحروب العسكرية والاقتصادية والاجتماعية .
- إنَّ صور الفساد التي يجب معالجتها بأسرع ما يمكن كثيرة ومنها: ملف تعويضات المتضررين من العمليات الإرهابية ، لذلك يجب الاشراف الحقيقي على ملف التعويضات من قبل المنظمات العالمية الفعالة، وهذا عامل مهم في إخبات ثورة الشعب التي تكون عاقبتها وخيمة إذا ما أهمل هذا الملف، وكذلك مطالبة الجهات المعنية بالوقفة الجادة بخصوص المفقودين من سايكر والزازة وغيرها، فهذا من شأنه أيضاً أن يسهم في التعايش السلمي في المستقبل القريب.

4. الخاتمة والنتائج

بعد الجولة البحثية عن الاستغلال الديني والسياسي لطوائف المجتمع تحصلت لنا بعض النتائج التي توصلنا إليها مصحوبة بأهم التوصيات، وبيانها على النحو الآتي:

4.1. النتائج:

1. إن كانت الحياة الدولية قد شهدت مواجهة قضائية لبعض الوقائع التي أدانت الجرائم إلا أن هناك أحداثاً كثيرة جوبهت بالتجاهل والصمت من جانب المجتمع الدولي ومرت بغير عقاب ، نتيجة الضغوط السياسية التي تمليها هيمنة الدول الكبرى على مسار العلاقات الدولية .
2. ما يعرف بالمذهبية في الوعي اليومي في المجتمع هو في الواقع طائفية دينية.

3. يعد الاستغلال الديني والسياسي لأطياف المجتمع جريمة، وهذه الجريمة قد لا تعني بالضرورة التدمير الفوري لأمة أو طائفة أو مذهب أو إثنية بعينها ، بل يكفي وجود خطة منظمة في الغالب تقوم بأفعال مختلفة تهدف الى القضاء على الأسس والركائز الحيوية التي تقوم عليها المجتمعات.

4. التحريض الطائفي في المؤسستين التربوية والتعليمية جعل مجتمعنا يعيش اليوم نوعاً من التيه والتخبط والضياع الفكري ولا سيما الشباب الذين هم بناة المستقبل ونهضة المجتمعات.

5. إنَّ دور وسائل الإعلام العراقية في مواجهة الطائفية كان مخجلاً وضعيفاً والسبب في ذلك هو أنَّ معظم وسائل الإعلام والقنوات الفضائية تحديداً محسوبة على اتجاهات سياسية وطائفية.

6. إنَّ الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أنَّ مجتمعنا أصيب بتخلف مادي وسياسي نتيجة للتخلف الديني ، وقد استغل طائفياً عبر تراكم السنين والأحداث وبلغ منتهى درجات الخطورة في زماننا.

7. بالرغم من أنَّ قانون الانتخابات حظر كثيراً من المسائل التي تدعو للعنف وتحث على الطائفية إلا أن الساسة لم يلتزموا بما جاء في هذا القانون مطلقاً.

8. أثبتت حقبة حكم الأحزاب المسيطرة على السلطة في العراق منذ العام 2003 ولحد الساعة، أنّ إذكاء الطائفية في البلاد، هو سلاح مهم تعتمد عليه بعض الأحزاب لضمان بقائها في السلطة.

9. من أهم نماذج الاستغلال السياسي هو تصاعد حدة الخطابات الطائفية أيام الانتخابات ، والصمت على الجرائم المدانة قانوناً، استغلال المال العام.

10. إنَّ أي استغلال للدين إيديولوجياً و سياسياً من قبل الطبقة الحاكمة في أي بلد من أجل اكتساب شرعية التسلط على رقاب البشر ، لابد أن يفرز لنا من يلجأ بدوره لتوظيف الدين في مقاومة الحكام فتظهر بذلك فرق دينية لا حدود لها، لكل منهم تأويله الخاص ، وأيديولوجيته الدينية الخاصة، وبالتالي سيكون لهم موقف سياسي وديني مناهض للسلم.

11. لقد أفرز الاستغلال السياسي والديني الذي اتخذته الاحزاب الدينية والسياسية في العراق آثاراً سلبية على المجتمع دينياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ومن أهما: السقوط في هاوية التكفير، ومصادرة حرية الاخرين، غياب الوسطية، وإذكاء الحرب الطائفية ، والانقسام والتشرذم الحزبي، وفقدان السلطة لهيبتها، وتسلم الرويبضة لمقاليد الحكم، وغياب الأمن والاستقرار ونشوب الحروب الطائفية، وإشاعة روح الانتقام من أجل الدفاع عن الطائفة، وضعف تعلق الشباب بالوطن، والشعور بالإحباط النفسي، وتفتيت المنظومة الفكرية الاجتماعية، والتدهور الاقتصادي ، وانتشار البطالة بشتى أنواعها.

12. التداعيات التي أصابت بلداننا أثرت سلباً على السلم المجتمعي ، ولا بد من وضع معالجات حقيقية وخطط استراتيجية للنهوض بواقع المجتمع من أجل العيش الرغيد.

4.2. التوصيات:

إن كان ولا بد من توصية عساها تجد آذاناً صاغية، فيوصي الباحثان بالآتي:

1. تحرير السلطة التشريعية والتنفيذية من سطوة الأحزاب وتفعيل الدور القانوني والقضائي لمحاسبة المفسدين إن كنا نسعى للسلم المجتمعي الحقيقي.

2. إنشاء رابطة أكاديمية من مختلف أطياف المجتمع مهمتها اكتشاف عناصر الخطر في الخطابات الدينية والسياسية ، والتنبيه من تداعياته، وابراز مخاطره ومهدداته كالغلو في المسائل الدينية والسياسية، والجهل والانغلاق، يعدُّ الاساس في كيفية رسم صياغات جديدة للخطاب الديني ولا سيما في المجتمعات متعددة الطوائف والاعراق.

3. تنقية التراث مما شابه من النزعات التطرفية المتشددة منذ قرون بات أمراً ضرورياً، فلن يتحقق السلم المجتمعي إلا بإصلاح ما أفسد، وهذا يستدعي وقفة جادة وجريئة للعلماء لمراجعة شاملة للمنظومة الدينية التي أصابها الوهن في ظل المتغيرات والأفكار الدخيلة على الإسلام.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1.ابن دريد ،أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ) تحقيق: رمزي منير بعلبكي ، (1987م) ، جمهرة اللغة: ط1، دار العلم للملايين – بيروت.

.2ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى المتوفى سنة 711هـ، (2003م.) لسان العرب: ط 3، الناشر: دار صادر – بيروت.

3.بشارة، عزمي (2018م) ، الطائفة والطائفية: من اللفظ ودلالاته المتبدلة إلى المصطلح السوسيولوجي التحليلي: المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات (بيروت/ الدوحة) .

.4البليهي ، ابراهيم ، د. ط، حصون التخلف - موانع النهوض في حوارات ومكاشفات- .

.5بن باز، عبدالعزيز بن عبدالله، مجموع الفتاوى: جمعه وأشرف عليه أسعد الشويعر، المكتبة الشاملة.

.6بهنام ، رمسيس(1984م) الإجراءات الجنائية تأصيلا وتحليلا ، د. ط ، الإسكندرية ، منشأة المعارف للنشر.

.7توشار، جان وآخرون، تاريخ الفكر السياسي: ، ترجمة الدكتور اسماعيل صبرى مقلد، ، د. ط، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

8.الجندي، غسان ، قانون المنظمات الدولية : مطبعة التوفيق، عمان.

.9الحسن، محمد (1320هـ - 2009م .) المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي : ط 3، دار البشير للطباعة والثقافة والعلوم ، القاهرة .

10.السالوس، أ. د علي أحمد (1418هـ- 1998م) ، الاقتصاد الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة ، د. ط، قطر- لبنان، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدوحة ، ومؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت.

.11السامرائي، سعيد (1993م) الطائفية في العراق: ط1، مؤسسة الفجر- لندن .

12.الشيباني، أحمد بن حنبل (1421هـ - 2001م) تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، المسند : ط1، مؤسسة الرسالة.

.13عبدالحميد، محمد سامي(1974م)، قانون المنظمات الدولية : مؤسسة شباب الجامعة .

.14العقارية ، د. فاطمة وآخرون (2015) ، التصدي لخطاب الكراهية عبر الانترنت ، مركز هي للسياسات العامة، المملكة الاردنية الهاشمية .

15.عيسى ، سارة وآخرون ، د. ط ، دليل لتجنب خطاب الكراهية: إشراف : د. نائلة حمدي، مؤسسة البرنامج المصري لتطوير الإعلام.

.16الغامدي ، اللطيف بن سعيد (2000 م) ، حقوق الإنسان في الإسلام، محاضرات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية،

17.فياض، أحمد سالم (2002م) اليهود في بعض أسرارهم وخبثهم : د. ط، مكتب رهاب للدعاية والنشر والإعلان.

.18الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (1420 هـ 1999 م) القاموس المحيط : د. ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ومؤسسة الرسالة، بيروت.

19.القرضاوي، الدكتور يوسف (1402هـ - 1982م) الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف : ، ط 3 ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر.

.20قطب، سيد ، مقومات التصور الإسلامي : د.ط، دار الشروق.

.21اللويحق، عبدالرحمن بن معلا ، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر: ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت.

.22مصطفى، مثنى محمود (1989) الجريمة الدولية بين القانون الدولي الجنائي والقانون الجنائي الدولي: دار النهضة العربية، القاهرة.

23.الهروي ، محمد بن أحمد بن الأزهري أبي منصور (المتوفى: 370هـ): تحقيق: محمد عوض مرعب(2001م.) تهذيب اللغة: ط1 ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

.24الهيثمي،: نور الدين علي بن أبي بكر (1412هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الهيثمي: دار الفكر، بيروت .

25.وافي، د.علي عبدالواحد ، علم الاجتماع : د. ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الرسائل والاطاريح:

1.العبيدي، علي حسين (2002م) المسؤولية الجنائية : رسالة ماجستير مقدمة مجلس كلية القانون ،جامعة بابل.

.2عبدالمجيد، سازان سامان (2015م) تقييم النخبة لدور وسائل الإعلام العراقية في مواجهة الطائفية: رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور عبدالكريم علي الدبيسي، جامعة البتراء، الأردن.

3.العلياوي ، د. عبدالجبار حميد صالح (2011م) الغزو الفكري المعاصر وأثره على اعتقاد المسلمين: رسالة ماجستير، كلية الإمام الأعظم الجامعة، العراق – بغداد.

البحوث والدوريات والمجلات:

1.الإبادة الجماعية ما بين المنظور الشرعي والقانون: هدى الجنابي، بحث مقدم الى مجلس كلية القانون، جامعة بغداد، .2013

.2 الخليفي، عبدالرحمن (2003م) القانون الجنائي الدولي من المحاكم المؤقتة الى المحاكم الدائمة : مجلة الوحدة الإسلامية الصادر عن تجمع علماء المسلمين، ع.16

3. الدقور، سليمان بن محمد(1430هـ) الغلو والتطرف معناهما – أسبابهما- آثارهما - علاجهما : بحث مقدم إلى مؤتمر الإرهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف، الجامعة الاسلامية.

4. العلياوي، د. عبدالجبار حميد صالح (2018م) الخطاب الديني المعتدل ودوره في تعزيز السلم المجتمعي: ، بحث مقدم الى المؤتمر الدولي الأول لجامعة الأنبار الموسوم(الاعتدال في الخطاب الديني والسياسي وأثره في تعزيز التنمية المجتمعية) ، ع .37

.5مجلة الوقائع العراقية، (1435هـ – 2013م) قانون انتخابات مجلس النواب العراقي (45) العدد (4300)

6.المؤيد ، حسين ، التطرف الفكري(2007م) ، مؤتمر الأئمة والخطباء والدعاة الذي أقامته وزارة العدل ، المنامة- البحرين.

مواقع الانترنت:

1-عبد، علي (2007م) أثر الخطاب الطائفي على المجاميع التطوعية الشبابية: مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، annabaa.org/arabic/authorsarticles/10152 ، تاريخ الزيارة 2019/1/15

2- شعيب، قاسم ، الإعلام الديني.. وفخ التحريض الطائفي: قاسم شعيب : http://www.almayadeen.net/articles/opinion/838297 ، تاريخ الزيارة 2019/1/15

3-موقع (INB 2018م) ألمانيا تواجه خطاب الكراهية في مواقع التواصل الاجتماعي بغرامات ضخمة: https://www.inp.plus/news/27591 ، تاريخ الزيارة 2019/1/18

4-شبكة الغد برس، التشهير واستغلال المال العام." هذه مخالفات الاحزاب والمرشحين لضوابط الدعاية الانتخابية: https://www.alghadpress.com/news، 17، 2019 /1

5-وكالة يقين (2007م) حملات الدعاية الانتخابية: https://yaqein.net/investigations/68364 ، تاريخ الزيارة 2019./1/30

6-سيف الدين، أكثم (2018م) خطاب الكراهية يستعر مع انطلاق الحملة الانتخابية: العربي الجديد: https://www.inp.plus/news/31197، تاريخ الزيارة 2019/1/24

7- الحنفي ، محمد (2005م) الدساتير العربية و تكريس الطائفية: محمد الحنفي، الحوار المتمدن: http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=46789&r=0 ، تاريخ الزيارة 2019/2/1

8- النشمي، محمد (2010م) الدين السياسي ونقد الفكر الديني:

9- http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=202085&r=0 ، تاريخ الزيارة 2019/2/1

10-الكاتب، عبدالحميد(2011م) الطائفية بين الدافع الديني والاستغلال السياسي: شبكة الراصد، http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=3464 ، تاريخ الزيارة 2019/1/25.

11- د. صالح، عامر (2017م) ليست فقط تجريم التحريض الطائفي والعنصري بل والطائفية السياسية: عامر صالح:

12-0- http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=565993&r=0 ، تاريخ الزيارة 2019./1/28

13-الملاح، أحمد (2017م) ماذا تعرف عن نظرية (7×7): شبكة عواجل برس، تاريخ الزيارة 2019./1/28

14- موقع (INB 2018م) غرائب انتخابية تثير امتعاض الناخبين العراقيين:

https://www.inp.plus/news/35829 ، تاريخ الزيارة 2019./2/10

15-موقع العرب، منابر التحريض الطائفي: https://alarab.co.uk/ ، تاريخ الزيارة 2019./2/8

16-اقبال، محمد (2018م) المناهج الدراسية طائفية جدًا: محمد إقبال، https://yaqein.net/politics/162563 ، تاريخ الزيارة 2019/2/8.

ئیستیغلالی ئایینی و سیاسی بۆ فرەیی تایفەگەری لە عیراق و کاریگەریەکانی لەسەر ئاشتی کۆمەڵایەتی

عبدالجبار حمید صالح شاهین
زانکۆی ئەنبار- سەنتەری لێکۆڵینەوە ستراتیژیەکان

نافع حمید صالح شاهین
زانکۆی ئەنبار- کۆلێژی پەروەردە بۆ زانستە مرۆڤایەتیەکان

پوختە

سوپاس بۆ ئەو خودایەی کە خەم رەوێنە، و نعمەتەکانی دەرژێنێت، و درود و سڵاو لە سەر پەیامبەرمان موحەممەد نێردراوی پڕ لە بەخشندەیی بێت، ئەوەی کەوا بتەکانی نەهێشت پەیکەرەکانی ڕوخاند، وە هەروەها درودی خودا لەسەر کەس و کار و هاوەڵانی بێت کە خاوەنی ڕێز و بەخشندەیین، وە هەروەها لەسەر هەموو ئەو کەسانەبێت کە بەدوایانداهاتوون و هەرکەسێك بە چاکە بەدوایاندا چوبێت لە گەل و نەتەوەکان.

ئینجا:

ئیستیغلالکردنی ئایینی و سیاسی بۆ فرەیی تایفەگەرایی و ڕەگەزی لە خرابترین بەرهەمەکانی دەستی مرۆڤایەتیە لە چاخی ئێستادا، و کاریگەری زۆر نەرێنی هەیە لەسەر دەروونە لاوازەکان، بەجۆرێك کە فاکتەرێکی سەرەکیە لە چاندنی ڕق و کینە، و گۆشکردنی بیری توندڕەوی، و زۆرجار فرەیی تایفەگەرایی دەبێتە لەوەڕگایەکی بە پێز بۆ کەسە نەفس نزمەکان کەوا ناسنامەی ئایینی و ڕەگەزایەتی سیاسی ئیستیغلال بکرێت و لە دوبەرەکیەکاندا بەکاربهێنرێت، چونکە جوڵانەوەی ئایینی و سیاسی کە سەرهەڵدەدات لە پێناوی سەرخستنی ناسنامەی ئایینی یان مەزهەبی، هەندەی پێناچێت کە خودی ناسنامەکە دەگۆڕێت بۆئامرازێکی ڕەگەزپەرستی لە دوبەرەکیدا لە گەڵ ناسنامەکانی تردا.

پێویستە ئەوە بسەلمێنین کەوا ڕاستیەکی حاشا هەڵنەگر هەیە کە کەس ناتوانێت نکوڵی لێبکات ئەویش ئەوەیە کە کۆمەڵگاکانی ئێمە توشی دواکوتنێکی مادی و سیاسی بوونە بەهۆی دواکەوتوویی ئایینی، ئەمەش لە چوارچێوەی تائیفەگەرایی بەهۆی کەڵەکەبوونی ساڵان و ڕوداوەکان و لەو سەردەمەی ئێستاشماندا گەیشتۆتە ئەوپەڕی ڕادەی مەترسیداری، بە جۆرێك کە مەشخەڵانی ڕێچکەگەری تێدا نەماوە و پرنسیپ و بەهاکانیشی تێدا ونبووە.

شایەنی باسە کە ئیستیغلالی ئایینی و سیاسی بەشێوەیەکی نەرێنی کاریکردۆتە سەر ئاشتی کۆمەڵایەتی لە عیراق، و لە میانەی ئەو توێژینەوەیە تیشك دەخەینە سەر ڕادەی ئەو ئیستیغلالەی کەوا لە ڕووی ئایینی و سیاسی لە عیراق بوونی هەیە بە مەبەستی بەرەنگاربوونەوەی، و بەرەنگاربوونەوەی هەموو ئەو ووتارانەی کە بانگێشە بۆ توندو تیژی و ڕق و کینە دەکات لە پێناو ژیانێکی کامەران و بژێویەکی فراوان بۆ ئێمەو نە وشە سەرەتاییەکان.

وشە گرنگەکان: چوساندنەوەی سیاسی، چەوساندنەوەی ئایینی، فرە تایەفی، کاریگەری فرە تایەفی لەسەر ئاشتی، کاریگەری چەوساندنەوەی ئایینی و سیاسی فرە تایەفی لەسەر ئاشتی.

Religious and political exploitation of sectarian diversity in Iraq and its impact on community peace

Abdul-Jabbar Hamid Saleh Shaheen
Anbar University - Center for Strategic Studies

Nafie Hamid Saleh Shaheen
Anbar University Faculty of Education for Human Sciences

Abstract

Praise be to Allah who removal the worries , revealing the gloom, and the blessings, and prayer and peace be upon our Prophet Muhammad peace be upon him the Prophet, who removed and destroyed idols. Blessings also go to his family and companions of the people of virtue and generosity, and to the followers and whom followed with the charity of peoples and nations.

And after:

The religious and political exploitation of sectarian and ethnic diversity is one of the worst things that humanity has produced in our time because of its negative impact on souls, considered a major factor in instilling hatred and nurturing extremism, and sectarian variety is often a breeding ground for the weak people to exploit and employ religious identities, and Ethnic politics in conflicts. The religious or political movement which moves forward in supporting of a religious or sectarian identity will soon transform its ideology into a fanatical tool in conflict with other ideologies or identities.

We must prove a fact which is an undeniable that our society has suffered material and political underdevelopment as a result of religious underdevelopment, and has been exploited sectarianly through the accumulation of years and events and reached the extreme degrees of danger in our time, to the extent that the features of the sunnah and principles and values have lost.

It is worth and important mentioning that religious and political exploitation negatively affected on the societal peace in Iraq, and through research, the researcher will shed light / focus on the extent of religious and political exploitation in Iraq to fight it, and fight all rhetoric that calls for violence and hatred, for a happy life and flourish living to our future generations.

Key words: Political exploitation, religious explanation, the impact of sectarian variety on peace, the effects of religious and political exploitation of sectarian variety on peace.